الفصل الثانى

مواقف الشيطان مع صالحى الأمم السالفة

obeikandl.com

obeikandl.com

إبليس والعباد الصالحين

كان قبل نوح قوم صالحون أحبهم الناس ، واستطاع إبليس أن يجعل الناس يعبدونهم من دون الله ، فإليك ما حدث :

كان ودّاً رجلاً صالحاً ، وكان مُحبباً فى قومه ، فلما مات عكفوا حول قبره فى أرض بابل وجزعوا عليه ، فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه فى صورة إنسان ثم قال : إنى أرى جزعكم على هذا الرجل ، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون فى ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا : نعم .

فصَور لهم مثله ، قال : ووضعوه فى ناديهم وجعلوا يذكرونه ، فلمّا رأى ما بهم من ذكره قال : هل لكم أن أجعل فى منزل كل واحد منكم تمثالاً مثله ليكون له فى بيته فتذكرونه ؟ قالوا : نعم .

قال : فمثل لكل أهل بيت تمثالاً مثله ، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به .

قال : وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به .

قال : وتناسلوا ودرس أثر ذكرهم إياه حتى اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولاد أولادهم ، فكان أول ما عُبد غير الله ودّاً الصنم الذى سموه ودّاً [1] .

ومقتضى هذا السياق : أن كل صنم من هذه عبده طائفة من الناس .

فعبدوا : ود – وسواع – ويغوث – ويعوق – ونسراً .

قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا : لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾ . (نوح : ٢٣)

من مراتب إغواء الشيطان للإنسان :

١ – الشرك بالله تعالى .

---

(١) رواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن منصور ، حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا يعقوب عن أبى المطهر (البداية والنهاية : ١٠٦/١) ط : دار الفكر العربى.

الشيطان وعابد
غرّه المـــال

اتخذ قومٌ شَجرة يعبدونها فلمّا علم بذلك أحد الصالحين أخذ فأسه وذهب ليقطعها من جذورها فأتاه الشيطان فى صورة رجل ، وقال له : لِمَ تقطعها ؟ ومالك أنت ؟ فتقاتلا .

فانتصر الرجل الصالح على الشيطان .

فأتاه اللعين مِن مدخل آخر وقال له : اتركها ولك كل يوم ديناران .

فكان كل يوم يصبح فيجد تحت وسادته دينارين ، فذات يوم أصبح فلم يجد تحت وسادته الدينارين ، فعندئذ أخذ فأسه وذهب ليقطع الشجرة فأتاه الشيطان وكلّمه فى الأمر فقال : أقطعها لأنها تُعبد من دون الله فتقاتل الشيطان معه فانتصر الشيطان عليه فقال : انتصرتُ عليك فى المرة الأولى ، وانتصرت علىّ فى المرة الثانية فَلِمَ ؟ قال :

لأنك أتيت فى المرة الأولى من أجل الله فانتصرت علينا ، وأتيت فى المرة الثانية من أجل المال فانتصرنا عليك .

مِن مداخل الشيطان إلى القلوب :

١٣ ـ طول الأمل .

إبليس وبرصيصا

ويروى عـن وهب بن منبه قال : كان عابد من بنى إسرائيل ، وكان أعبد أهل زمانه ، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت ، وكانت بكراً ليس لهم غيرها ، فخرج البعث[1] على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ، ولا من يأمنون عليها ، ولا

---

(١) البَعْثُ : اختاروهم للقتال .

عند من يضعونها . قال : فأجمع رأيهم على أن يُخلِّفوها [1] عند عابد بنى إسرائيل ، وكان ثقة فى أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يُخلِّفوها عنده فتكون فى كَنَفِه[2] وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم .

فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم . قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال : أنزلوها فى بيت حيال صومعتى .

قال : فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت فى جوار ذلك العابد زماناً ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد إلى صومعته ، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من طعام .

قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يُرغبه فى الخير ويُعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها ، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك .

قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها .

قال : فلبث على هذه الحالة زماناً .

ثم جاء إبليس فرغَّبه فى الخير والأجر وحَضَّه عليه ، وقال : لو كنت تمشى إليها بطعامها حتى تضعه فى بيتها كان أعظم لأجرك .

قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ، ثم وضعه فى بيتها فلبث على ذلك زماناً.

ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير وحضَّه عليه . فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة.

قال : فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته .

---

(١) يُخلِّفوها : يتركوها .

(٢) كَنَفِه : حفظه ورعايته .

ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال : لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها ، وتقعد هى على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه ، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها فلبثا زماناً يتحدثان .

ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والثواب فيما يصنع بها وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها ، فحدثتها كان آنس لها ، فلم يزل حتى فعل ، قال : فلبث زماناً .

ثم جاءه إبليس – عليه لعنة الله – فرغبه فى الخير ، وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها .

وقال له : لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ، ولم تخرج من بيتها ، ففعل ، فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها ، فلبث على ذلك حيناً .

ثم جاءه إبليس فقال : لو دخلت البيت معها فتحدثها ، ولم تتركها تبرز [1] وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهاره كله ، فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته .

ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وَقبَّلها ، فلم يزل به إبليس يحسّنها فى عينيه ويسول له حتى وقع عليها [2] فأحبلها ، فولدت له غلاماً .

فجاءه إبليس فقال : أرأيت إن جاء إخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع ؟ لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك ، فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها . ففعل .

فقال : أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها ؟ وقتلت ابنها ؟ قال : خذها واذبحها وادفنها مع ابنها ، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها ، وأطبق عليهما

---

(١) تَبرز : تظهر .

(٢) أى زنى بها .

صخرة عظيمة ، وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوا عنها ؟

فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها ، وقال : كانت خير امرأة ، وهذا قبرها فانظروا إليه ، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهليهم .

فلما جَنَّ عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أخته ؟ فأخبره بقول العابد ، وموتها وترحمه عليها ، وكيف أراهم موضع قبرها ، فكذبه الشيطان وقال : لم يصدقكم أمر أختكم ، إنه قد أحبل أختكم وولدت له غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعاً منكم ، وألقاها فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله ، فانطلقوا فادخلوا البيت فإنكم ستجدونها كما أخبرتكم هناك جميعاً .

وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثل ذلك ، وأتى أصغرهم فقال له مثل ذلك .

فلما استيقظوا من النوم وأصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم .

فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم : لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى .

فقال كبيرهم : هذا حلم ، ليس بشئ فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم .

قال أصغرهم : والله لا أمضى حتى آتى إلى هذا المكان فأنظر فيه .

فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم ، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وُصِفَ لهم فى منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفرة كما قيل لهم ، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما .

فاستعدوا [1] عليه ملكهم فأُنزِل من صومعته ، وقُدِّم ليُصلب ، فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال له :

قد علمت أنى أنا صاحبك الذى فتنك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها ، فإن أنت أطعتنى اليوم ، وكفرت بالله الذى خلقك وصوَّرك ، خلصتك مما أنت فيه .

---

(١) سلطوا عليه .

قال : فكفر العابد بالله ، فلما كفر بالله تعالى خلّى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه[1] .

قال المفسرون : في هذا وأمثاله نزلت ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ أكْفُرْ . فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ : إِنِّى بَرِئٌ مِنْكَ . إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾[2] .

من طرق الشيطان لإغواء الإنسان :

– التدرج في المعاصي .

إبليس وبلعام بن باعوراء

كان في بني إسرائيل رجل يقال له بلعام بن باعوراء ، وكان عالماً من علماء بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة وكانوا يقدمونه في الشدائد ، وكان إذا دعا الله شيئاً إلا أعطاه له ، وكان يعلم الاسم الأكبر ، وأعطى ثلاث دعوات يستجاب له فيها ، وكانت له امرأة لَهُ منها ولد ، فقالت : اجعل لي منها واحدة ، قال : فَلَكِ واحدة فما الذي تريدين ؟

قالت : ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فدعا الله فجعلها أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فلمّا علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه وأرادت شيئاً آخر فدعا الله أن يجعلها كلبة فصارت كلبة فذهبت دعوتان فجاء بنوها .

فقالوا : ليس بنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة يعيرُنا الناس بها ، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها ، فدعا الله فعادت كما كانت ، فذهبت الدعوات الثلاث .

وأن موسى أقبل إلى بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام (أو قال الشام) .

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ، وذكر هذه القصة ابن كثير وابن جرير وغيرهم .

(٢) سورة الحشر / ١٦ ، ١٧ .

قال : فرعب الناس منه رعباً شديداً فأتوا بلعام فقالوا : ادعُ الله على هذا الرجل وجيشه .

فقال : حتى أؤامِر ربى أو حتى أؤامَر .

فقال : فآمر بالدعاء عليه . فقيل له : لا تدعُ عليه فإنهم عبادى وفيهم نبيهم .

فقال لقومه : إنى قد آمرت ربى بالدعاء عليهم ، وإنى قد نهيت فأهدوا له هدية فقبلها ، ثم رجعوا ، فقالوا : ادعُ عليهم فقال : حتى أؤآمر ربى فآمر فلم يأمره بشئ ، فقال : قد آمرت فلم يأمرنى بشئ .

فقالوا : لو كره ربك أن تدعوَ عليهم لنهاك كما نهاك فى المرة الأولى .

قال : فأخذ يدعو عليهم فإذا دعا عليهم جرى فى لسانه الدعاء على قومه ، وإذا أراد أن يدعو أن يُفتح بقومه دعا أن يفتح بموسى وجيشه ونحواً من ذلك إن شاء الله .

فقالوا : ما نراك تدعو إلا علينا .

قال : ما يجرى على لسانى إلا هكذا ، ولو دعوت عليه أيضاً ما استجيب لى ولكم سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ، إن الله يبغض الزنا ، وإنهم إن وقعوا فى الزنا هلكوا ونجوتم ، فأخرج النساء تستقبلهم فإنهم قوم مسافرون فعسى أن يزنوا فيهلكوا ، قال : ففعلوا فأخرج النساء تستقبلهم .

قال : وكان للملك ابنة وذكر من عِظَمها ، ما الله أعلم به قال : فقال أبوها : أو بلعام : لا تمكنى هذا إلا من موسى .

قال : وقعوا فى الزنا .

قال : فأتاها رأس سبط من أسباط بنى إسرائيل فأرادها على نفسها فقالت : ما أنا بممكنة نفسى إلا من موسى . فقال : إن منزلى كذا وكذا ، وإن من حالى كذا وكذا فأرسلت إلى أبيها تستأمره .

فقال لها : مكّنيه .

قال : ويأتيهما رجل من بنى هارون ومعه الرمح فيطعنهما .

قال : وأيده الله بقوة فانتظمهما جميعاً ، ورفعهما على رمحه فرآهما الناس ، أو كما حدث .

قال : وسلط الله عليهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفاً .

قال : وكان من أمر هذا الرجل أن تراءى له الشيطان على علوة من قنطرة بانياس فسجدت الحمارة لله وسجد بلعام للشيطان .

قال تعالى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ الذى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ** – أى استحوذ عليه – **فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ .

﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا** ـ أى لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التى آتيناه إياها ـ **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1] .

من مداخل الشيطان إلى القلوب :

١٥ ـ الركون إلى الأرض .

إبليس والعابد الجاهل

رُوِىَ أن عابداً من بنى إسرائيل كان يعبد الله تعالى فى صومعة فوق الجبل ، وذات يوم خرج كعادته لكى يتجول متأملاً فى ملكوت الله تعالى حول صومعته وأثناء تجوله هذا رأى فى طريقه جثة آدمى تنبعث منها رائحة كريهة فمال العابد إلى اتجاه آخر حتى يتفادى شم هذه الرائحة ، عند ذلك ظهر له الشيطان فى صورة رجل من الصالحين الناصحين وقال له :

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٥ ـ ١٧٦ .

انظر تفسير ابن كثير (٢٦٤/٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦) بتصرف فى تفسير قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا ... ﴾ .

لقد تبخرت حسناتك ولم يعد لك رصيد منها عند الله .

فقال له العابد : ولمَ ؟

قال : لأنك أبيت أن تشم رائحة آدمى مثلك .

وعندما ظهر الألم على وجه العابد قال له الشيطان مشفقاً وناصحاً :

إذا أردت أن يغفر الله لك زلتك فإنى ناصحك بأن تصطاد فأراً جبلياً وتعلقه فى رقبتك على أن تعبد الله به طوال حياتك ..

ونفذ العابد الجاهل نصيحة الشيطان الذى كان يتحين له الفرصة ..

فاصطاد الفأر الجبلى وظل يتعبد به حاملاً النجاسة أكثر من ستين عاماً إلى أن مات[1] .

من مداخل الشيطان إلى القلوب :

١٦ ـ الجهـــل

إبليس وعابد جاهل وعالم عامل

« أرسل إبليس شياطينه إلى عابد من العبّاد ليسألوه سؤالاً فذهبوا إليه فى صورة رجال فتقدم إليه أحدهم وقال : إنى سائلك سؤالاً قال : سل .

قال : أيستطيع ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة ؟

قال : لا .

فذهبوا إلى إبليس فأخبروه فقال : أما ترون إنه قد كفر الساعة ؟

ثم قال لهم : اذهبوا إلى العالم فى المكان الفلانى فذهبوا إليه فوجدوه يُضحك أصحابه فتقدم إليه أحدهم وقال : إنى سائلك .

---

(١) من وصايا الرسول (٣٩٣/١) طه عبد الله العفيفى .

قال : سل

قال : أيستطيع ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة ؟

قال : نعم إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون

فذهبوا إلى إبليس فأخبروه فقال : هذا ـ أى العابد ـ أضل نفسه.

وهذا ـ أى العالم ـ أفسد علىّ عَالماً كثيراً [1] .

إبليس وتصوره لراهب بصورة المسيح

كان راهب فى صومعته فى زمن المسيح – عليه السلام – فأراده إبليس فلم يقدر عليه ، فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه ، فأتاه متشبهاً بالمسيح فناداه :

أيها الراهب أشرف علىّ أكلمك .

قال : انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمرى .

فقال : أشرف علىّ فأنا المسيح .

فقال : إن كنت المسيح فما لى إليك حاجة ، ألست قد أمرتنا بالعبادة ، ووعدتنا القيامة ، انطلق لشأنك فلا حاجة لى منك ، فانطلق اللعين وتركه .

رواه ابن الجوزى بسنده عن وهب بن منبه [2]

إذا علمت مداخل الشيطان ، وطهرت قلبك بطهور الإيمان ، عجز الشيطان أن يأخذك إلى المعاصى والبهتان .

***

---

(١) مفتاح دار السعادة ـ ابن قيم الجوزية ، فضل العلم وذم الجهل ـ محمد سعيد رسلان .

(٢) تلبيس إبليس ٢٩ .